في وجه ناوريز واختل عقله وعين مكافأة وجائزة للذين يأتون له برأس فورطيس
وروفس ضابط ولما وردت اليه اخبار زحف فورطيس عليه وانه على بعض فراسخ من
مدينة زمبوله مع شرذمة قليلة من اتباعه رأى ناوريز ان ذلك من اكبر السفاهة
والوقاحة وعول على عقابه في الحال وبرز بعساكره للملتقاه في ميدان الحرب وبما ان
فورطيس كان قائدا ذي براعة وهمة عالية وعلى تجربة كبيرة من اموره في محاربة عدو
اقوى منه عددا وسلاحا فاتخذ له موقعا على الشطى المقابل من نهر كانواش وكان
على دراية تامة من ان هذا الموقع الذي اتخذه لا يمكن الوصول اليه ولا الهجوم عليه ورأى
ان العدو لو قرب منه لا يستفاد شيئا وكان هذا الوقت مبدا فصل نزول الامطار وانهمار
المطر نازلا طول النهار مثل افواه القرب بشدة شديدة خصوصا في المنطقة الحارة
وبما ان اتباع ناوريز ما كانوا مستعودين على المتاعب ومشاق مثل هذه الحركة العسكرية
ضجروا وتزمروا حتى رخص لهم قائدهم بالعودة الى مدينة زمبوله فكانت الحالة التي
حملتهم على ترك ميدان الحرب تقوية وتشجيعا لفورطيس في عزمه على اجرا مشروع يتصل
به مادة هذه الحرب من بعد ما ظهر له من عساكره ورجاله الغيرة والحمية في نفاذ هذا
الامر وما كانوا عليه تحت نزول الامطار عليهم من عدم وجود اوى حين يقيهم تحتها
ويحفظون انفسهم من سيول سقوط الامطار المهولة ولما تفكر ان العدو لا بد له من
اخذه مدة من الزمن يريح نفسه فيها من التعب ويطمئن فيها من عدم حصول شي يضر به
في وقت لا يمكن فيه عمل شي ما من انواع الحروب عزم على انه يسطو عليه في هذا الوقت
في ظلام الليل حتى ان شدة الهجوم والفزع الذي يقع على الاعداء في الليل الحالك تتولد
منه النصرة لشرذمته القليلة ثم انه من بعد ان حرض فورطيس عساكره واشعل لهيب
نيران حميتهم وغيرتهم قسمهم الى ثلاث فرق كان سندوفال رأس الفرقة الاولى
وكلف فورطيس هذا الفارس بالوقوع في اشد الاخطار واكبر المخاطرات وهو قبضه
على الافواه النارية الموجودة عند العدو وكانت موضوعة امام برج من ابراج
الهيكل الاكبر مقيم فيه ناوريز وعهد قيادة الفرقة الثانية الى كريستوفال دو
عوليدو وامره بالهجوم على البرج والقبض على ناوريز وقاد فورطيس بنفسه الفرقة
الثالثة وكانت اقل عددا من الاوليين وجعل نفسه مددا لهما عند الكل منهما حين ضرورة
الاحوال ومن تمام هذا الترتيب عبر فورطيس نهر كانواش وزحف بعسكره مع
غاية الصمت من دون ضرب طبول او صهيل او قعقعة سلاح كل منهم شاهر سيفه
وفي يده سلاح ومزراقه واما ناوريز فانه كان متوكلا على اطمئنان حالته وما اوقف
الا اثنان من الخفر لمراقبة حركة عدوه فقبض عسكر فورطيس على واحد منهما في وقت
نفوذهم وهرب الاخر الى المدينة مع السرعة وشدة الخوف حتى وصل على ناوريز واعلم
بقرب العدو وكان عنده زمن في الاستعداد للمقابلة الا انه ضيع هذه المدة في الكبريا
والعجرفة وعد ان هذا الانذار من جبن الخفير وخوفه وما تصور في عقله وقوع
الهجوم من قوة ضعيفة على قوة قوية موجودة تحت قيادة مثله حتى ذاق وبال امره
واقتحم عساكر فورطيس في الهجوم وصرخوا باصواتهم حتى سمع ناوريز وتحقق صدق قول
الخفير وكانوا في زحفهم وهجومهم في شدة وسرعة حتى ما حصل الا طلق مدفع واحد على
عسكر سندوفال وجردوا من مواقع العدو وطردوه من جميعها وشرعوا في اغتصاب
طريقهم الى سلم البرج فاسرع ناوريز ولبس سلاحه والدرع وزعق في عسكره فرتبت
الحياة في ارواحهم واجتهدوا في صد عدوهم وزحف دو عوليدو على عدة اصحابه
واقتحم فورطيس ورفقته في المواجهة وباشر الحرب وجدد الشجاعة والغيرة في اصحابه
وازالوا كل مقاومة حصلت لهم من اعداهم واقتحموا ابواب البرج الموجود فيه ناوريز
واسرع احد عساكر فورطيس واضرم فيه النار وكان هذا البرج مصنوعا من القش والخشب
فالتزم ناوريز على الخروج منه فجرحه احد عساكر فورطيس بحربة في عينه فسقط على الارض
مغشيا عليه فجروه تحت السلاح ووضعوا الحديد في رجليه وزعقت عساكر فورطيس بالنصر
النصر وحين الذين مع ناوريز بالحيرة وسلموا انفسهم ووقع الخوف منها بين من عساكره
وكانوا في برجين من ابراج الهيكل وظلام الليل شديدا حتى ما كانوا على طاقة من معرفتهم

معرفتهم اخوانهم من اعداهم ووجهوا نيران اسلحتهم ومدافعهم على اصحابهم ومن بعد
مقاومة قليلة رموا اسلحتهم وخضعوا للغالبين وقتل من عسكر فورطيس اثنان ومن عسكر
ناوريز ضابطان وخمسة عشرة نفس وما عامل فورطيس هؤلاء المغلوبين معاملة الاعداء
بل عاملهم معاملة انهم اهل بلاده واصحابه وخيرهم في امرهم اخوانهم اما ارسالهم في
الحال الى كوبه او الدخول معه في خدمته مشتركين في سعادته مثل عساكره وساعده نفسه في
هذا الرأي الاخير بتوزيعه عليهم بعض هدايا ووعدهم ومناهم بما يحصل لهم من السعادة
والخير العظيم وكان هذا الانتظار والتقريم الذين كانوا عليه من قبل وكانوا دخلوا بسببه
جميعا في مشروع مع ناوريز خضعوا لفورطيس واعترفوا بالوثاقة والاعتماد للقائد
ظهرت لهم صداقته وعزمه ومهارته وبراعة قيادته وفي هذه الحالة صار فورطيس في
رأس ١٠٠٠ من الاسبانيين مستعدين لاتباعه في اي امر يسوقهم اليه ونجى من خطر النبأ
الذي كان منزعجا وقوعه ثم انه من بعد مضي بضع ايام من بعد الهزيمة على اوقوع على
ناوريز وصل اليه ساعي اخبره بان المكسيكيين قاموا بالسلاح وضبطوا السفينتان التي
كان انشأها من اجل توطيد حكمه على البحيرة واحرقوها وهجموا على الاسبانيين في محلهم
وقتلوا منهم عدة وجرحوا كثيرا واحرقوا مخازن ذخايرهم وتمكنت فيهم العداوة والغضب
حتى ان الورادو ورجاله دافعوا عن انفسهم مع البسالة وانهم الان اما هلكوا من القحط
والجوع او عزقوا تحت اثقال احمال اعداهم وكان منشأ هذه الثورة اسباب صيرتها
مهولة جدا وذلك انه عند سفر فورطيس الى نحو زمبوله عمل المكسيكيون انفسهم بانه
آن لهم اوانه ستخرج الفرصة التي كانوا يتوقعون وقوع حصولها مدة طويلة في عود ملكهم
وحريتهم والمدافعة عن بلادهم من الاحكام المبغوضة عندهم الواقعة عليهم من اغراب جاروا
في ارضهم واحتلوا بلادهم وعاصمة ملكهم ورأوا انه في اثناء الخلاف الواقع بين الذين
جاروا عليهم واغتصبوا منهم سلطتهم ومبارزة هؤلاء الاغراب مع بعضهم يمكنهم الظفر
مع غاية السهولة على كل منهما وصوروا مشروعات بهذا العزم فارتاب الاسبانيين وخافوا
من هذه الدسايس بسبب ما هم عليه من ضعف القوة ولو ان الورادو كان ضابطا
فارسا مماثلا انه ما كان فيه حزم الرأي وعلو التدابير والشرق الذي كان مستحوذا عليه
فورطيس من تمكنه من الغلبة على عقول المكسيكيين حتى انه ما سمح للمكسيكيين بكونهم يستهزؤا
بقوته القليلة او ضعف في عسكره وما كان عند الورادو دراية باي حالة يعتقد بها
احكامه الا بالقوة وبدل ان يجعل نصب عينيه التواضع وعدم التهور في الامور او
يداهن في اعماله عدة المكسيكيين انتظر هو حتى يوم اقامة شعار موسم من مواسمهم
اجتمع فيه كبار الامة ووجوه المملكة وامراءها في صحن الهيكل الاكبر عندهم وشرعوا في
المغاني والرقص حسب العوايد الجارية عندهم وضبط كافة المنافذ الموصلة الى الهيكل
الاكبر واغوى بعض الاسبانيين بسبب بعض الحلي والزينة الذين كان المكسيكيون متزينين
بها في هذا العيد الكبير عندهم واخذين بقتل المخترعين للثورة التي هددوه بها وسقط
مع عسكره عليهم وذبح منهم الجم الغفير وما نجي منهم الا من هرب ما بين افنات الهيكل فتولد
من هذا الفعل القبيح والخيانة العظيمة امتلا اهل المدينة بالغضب وكذا كافة المملكة
وقام المكسيكيون عموما بالسلاح من اجل اخذ ثارهم والبطش بعدوهم وما راعوا سلامة
ملكهم الموجود في قبضة الاسبانيين وتحت رحمتهم او الضرر الذي يقع له من هجومهم على
عدو قسيب من مدة طويلة في وقوع الفزع بينهم وجعلوا كافة الاعمال القطيعة التي
وصلت اخبارها الى فورطيس فجسم هذا الخطر عند فورطيس حتى صار لا يقبل امعان
نظر ولا امهال او تراخ فيه وسار في الحال مع كافة قواه ورجع من زمبوله مع سرعة
الحركة وانضم اليه في طاقته الفي نفس من منتخبي عساكر ولما دخل في الاراضي
المكسيكية وجد النفور من المكسيكيين على الاسبانيين ليس مقصورا في العاصمة فقط
بل وما وجد احد في المداين التي مر عليها من كبار اهلها وجميعهم تركوها وما في بلد
احد او ظهر له شخص بالاحترام العادي الذي كان يؤدي اليه ولو وصل لعسكره مونة
او ذخيرة ولو انه تقدم من دون مقاومة حصلت له خيانة وجد الهدوء والصمت متسلطين

Copyright © King Saud University